ثالثة أصليون

نصوص النثر العباسي

نصف العام الثاني

٢٠٠٨ ـ ٢٠٠٩

إجابة مجموعة الدكتور ياسر حشيش

استطاع ابن الجوزي أن يرتقي بالخطاب الديني إلى أرقى مستويات الخطاب الأدبي وفي خطبته يقول: (محبة الدنيا محنة، عيونها بابلية، كم تفتح باب بلية، ولا حيلة كحيلة من عين كحيلة).

(١) اكتب ما تحفظه من خطبة ابن الجوزي، مع الشكل.

(٢) دون أهم التقنيات الفنية التي وظفها ابن الجوزي في خطبته.

(٣) اكتب مذكرة مختصرة عن الفرق بين الخاطرة والمقالة.

الإجابة

ملحوظة: للطالب أن يدون ما يحفظه من تلك الخطبة، على أن يشي المدون عن كثير من خصائص خطبته، التي يقول في أولها:

(١) أيتها النفس!

تدبَّري أمرَك وتأملي، وتمثَّلي ما يفنَى، ولا تعجلي. لقد ضلِلْت طريقَ الهدى؛ فقفي واسألي: آثرْتِ وَهْنًا ما يُؤَرَّثُ، وهُنَا لا تَفْعَلي؟

يا غَمْرةً من الشَّقَا، ما أراها تنجلي. أتْبَعُ الهوى! والهَوَى عَلَيَّ وليس لي. أريد حياة نفسي، ونفسي تريد مقتلي. يا جسدًا قدْ بُلِي بما قد بُلِي.

نخطو وما خطوْنَا إلا إلى الأجَلِ ... وننقضي وكأنَّ العمرَ لمْ يَطُلِ

والعيشُ يؤذِنُنَا بالمَوْتِ أوَّلُهُ ... ونحن نرغبُ في الأيام والدُّوَلِ

يأتي الحِمَامُ فيَنْسَى المرءُ مُنْيَتَهُ ... وأعضلُ الداءِ ما يُلْهِي عَنِ الأمَلِ

تُرْخِي النوائبُ عن أعمَارنا طرَفًا ... ونستقرُّ وقد أمْسكْنَ بالطُّوَلِ

لا تَحْسَبِ العيشَ ذا طولٍ فتَتْبَعَهُ ... يا قُرْبَ ما بينَ عُنْق المرءِ والكَفَلِ

سَلَّى عن العيش أنا لا نَدُومُ لهُ ... وهَوَّنَ الموتَ ما نَلْقَى مِنَ العِلَلِ

لنا بما ينقضي من عُمْرِنَا شُغُلُ وكلُّنَا عَلِقُ الأحشاءِ بالغَزَلِ

إخواني! أوقدوا أدْهَانَ الأذهان في ليل الفِكَر. صابرُوا سِنِيَّ الجَدْبِ لعامِ الخِصْبِ، تعصروا. فمن أدلج في غَيَاهِبِ ليلِ العُلا على نَجَايبِ الصبر، صبَّحَ منزلَ السُّرُور في السِّر. ومن نام على فِراشِ الكَسَل، سال به سَيْلُ التمادي، إلى وادي الأسف.

الرجولية: قوة معجونة في طين الطبع، والأنوثية: رخاوة.

ولَدُ السَّبْعِ عزيزَ الهمَّة. وابنُ الذِّئْبِ غَدّار. وكُلٌّ إلى طبعِهِ عايد.

الجِدُّ كلُّه حركة، والكسل كلُّه سكون.

إذا أردتَ أنْ تعرفَ الدِّيكَ مِنَ الدَّجَاجَةِ، حين يخرج من البيضة؛ فعلِّقه بمنقاره، فإن تحرك فَدِيكٌ، وإلا فَدَجَاجَة.

فُتُورُكَ عن السعي في طلب الفضائل، دليل على تأنيث العزم.

يا مَنْ قدْ بَلَغَ أرْبعينَ سنةً، وكلُّ عُمره نومٌ وسِنة! يا متعِبًا في جمع المال بدنَه، ثم لا يدري لمن قد خَزَنَه! اعلم: هذه النفسُ الممتحنَة، إنها بكسبها مرتَهنَة.

ألا يعتبرُ المغرورُ بمن قد دَفنَه؟ كم رأى جبارًا فارقَ مسكَنَه؟ ثم سكن مسكنه!.

(٢) من جماليات الخطبة كثيرة، ويمكن للطالب أن يناقش أبرز تلك الجماليات في إيجاز، منها:

١ـ اعتداده بالأسلوب غير المباشر، غير المعتاد في خطابة الواعظين، الذين تغلب على خطابتهم الحديث الواقعي والتعبير الحقيقي..

٢ـ اعتداده باللغة الأدبية، التي تمتاح من المجاز، وتعتني بالتصوير الفني، تلك النعوت المتصلة بعالم الشعر أكثر من عالم النثر، وبالنصوص الأدبية أكثر من الخطابة الوعظية.

٣ـ توظيف الاقتباس.

٤ـ توظيف التضمين.

٥ـ اعتداده بخاصة التناص بطريقة لافتة، تصل إلى حد الإبهار.

٦ـ كثرة الالتفات على كافة الأصعدة ابتداء من الضمائر، ومرورا بالأزمنة، وانتهاء بالسياقات.

٧ـ اعتداده بكل آليات فنون البديع بطريقة بارزة، تتسم بالاحتراف، وتدل على امتلاك ناصية اللغة والأداء الفني.

٨ـ تدرجه في طرح الموضوع، واعتناؤه باتضاح مفاصل الخطبة، من مقدمة ووسط وتمهيد للنهاية، ونهاية تلخص كل أبعاد الطرح الفكري

السابق.
٩ـ توظيفه للمنولوج.
١٠ـ توظيفه للديالوج.
١١ـ اعتناؤه بالقضايا المنطقية.
إلى غير ذلك مما يستطيع الطالب أن يقرأه من جماليات، فللطالب أن يبدع في التقاط الأدوات، وفي تحليلها بطريقته الخاصة، التي تدل على وعيه، وقوة الملكة الاستنباطية.

ملاحظة: على الطالب أن يُلْمِحَ إلى مواطن الاستشهاد على كل ملمح بقدر استطاعته.

(٣) بين «الخاطرة» و«المقال» نقاط اتفاق ونقاط اختلاف، فـ«الخاطرة» كما يقول الدكتور عز الدين إسماعيل: من الأنواع النثرية الحديثة التي نشأت في حجر الصحافة، ولكنها تختلف عن المقال من عدة وجوه:

أنها ليست فكرة ناضجة وليدة زمن بعيد، ولكنها فكرة طارئة.

وليست فكرة تعرض من كل الوجوه بل هي مجرد لمحة.

وليست كالمقالة مجالا للأخذ أو الرد... بل هي أقرب إلى الطابع الغنائي، ثم إنها أقصر من المقال...ويضيف الدكتور بأن كاتبها يحتاج إلى الذكاء وقوة الملاحظة، ويقظة الوجدان.

ولقد كان المحور «الوجداني» أو «الغنائي» هو فيصل التفرقة عند البعض حين يراهما متشابهين في الظاهر فقط، ولكنهما مختلفان في الحقيقة. فيرى أن «الخاطرة» وجدانية كالقصيدة الغنائية، بينما نجد المقالة في الطرف المقابل تبدو تقريرية فهي فكرةٌ، قبل كل شيء.

والحمد لله رب العالمين

مع أطيب تمنياتي بالتوفيق والنجاح

د. ياسر حشيش